



خطبة الجمعة القادمة  
د/ خالد بدير بدوى

رئيس التحرير  
د/ أحمد رمضان  
مدير الجريدة  
أ/ محمد القطاوى

صوت الدعوة  
WWW.DOAAH.COM

## خطبة بعنوان: حسن العشرة وحفظها

بتاريخ: 19 رجب 1444هـ - 10 فبراير 2023م

### عناصر الخطبة:

أولاً: منزلة حسن العشرة في الإسلام.

ثانياً: حسن العشرة وحفظها صور ومظاهر.

ثالثاً: حاجتنا إلى حسن العشرة وحفظها.

### الموضوع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:

### أولاً: منزلة حسن العشرة في الإسلام

من أهم الأخلاق التي حث عليها ديننا الحنيف حسن العشرة وحفظها ومقابلة الإحسان بالإحسان، والمكافأة للمعروف بمثله أو أحسن منه والدعاء لصاحبه، قال الله تعالى: { وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } (القصص: 771)، وقال تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } (الرحمن: 60).

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في حسن العشرة وحفظها قبل البعثة وبعدها، وقد شهد له العدو قبل القريب، ونحن نعلم قول السيدة خديجة فيه لما نزل عليه الوحي وجاء يرجف فؤاده: " كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتُصَلِّ الرَّجْمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " (متفق عليه). بل إن الرسول ﷺ كان مشهوراً وملقباً في قريش قبل البعثة بالصادق الأمين، وأما بعد البعثة فقد شهد له ربه بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم: 4).

وقد تواترت النصوص قرأنا وسنة تؤكد حسن العشرة وحفظها ولا سيما بين الأزواج، قال تعالى: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } (النساء: 19).

ويقول الرسول ﷺ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " (الترمذي وحسنه). وعن عائشة قالت: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: " تَقَدَّمُوا " فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: " تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ " فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَّتْ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسَيْتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: " تَقَدَّمُوا " فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: " تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ " فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: " هَذِهِ بَيْتُكَ " (أحمد بسند جيد).

ففي هذا الحديث: تَوَاضَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَأُطْفَهُ مَعَ أَهْلِهِ، وَبَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ. فَحَسُنَ الْعِشْرَةُ مَبْدَأُ أَصِيلٍ مِنَ الْمَبَادِي الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فَقَطْ بَلْ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَطْيَافِ الْمَجْتَمَعِ.

## ثانياً: حسن العشرة وحفظها صور ومظاهر

لحسن العشرة وحفظها صور ومظاهر كثيرة، مِنْ أَهْمِهَا :  
حسن العشرة والوفاء بين الأزواج: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ” أَحَقُّ مَا أُوفِيْتُمْ مِنْ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ ” (متفق عليه). فَحَسُنَ الْعِشْرَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، يَجْعَلُ الْأَسْرَ مُسْتَقْرَةً، وَالْبَيْوتَ مُطْمَئِنَّةً، فَيَكُونُ رَابِطَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمَا فِي حَالِ الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ، وَفِي الْعُسْرِ وَالْيَسْرِ.

وَمَا أَجْمَلَ حَسْنَ الْعِشْرَةِ وَوَفَاءَ الرَّسُولِ ﷺ لِزَوْجِهِ خَدِيجَةَ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْتَرُ ذِكْرُهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». (البخاري).

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَنَامَةُ الْمُرَيْبِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَانَةُ الْمُرَيْبِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالِكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا حَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبَلُ عَلَيَّ هَذِهِ الْعَجُوزُ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ». (الحاكم وصححه ووافقه الذهبي).

قَالَ ابْنُ حَجْرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: “كَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى رِضَاهِ بَكْلِ مُمَكِّنٍ، وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْهَا مَا يُغْضِبُهُ قَطُّ”. فَقَابَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفَاءَ بِهَا بِوَفَاءٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَكَانَ فِي إِحْسَانِهَا يَشْكُرُهَا، وَظَلَّ بَعْدَ مَوْتِهَا يُكْتَرُ ذِكْرُهَا وَيَقُولُ عَنْهَا: “إِنِّي رَزِقْتُ حُبَّهَا”. (مسلم). قَالَ النَّوَوِيُّ “فِي هَذَا كَلِمَةٌ دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ، وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ”. (شرح النووي على مسلم).

ومنها: حسن العشرة مع الوالدين: فالوالدان اللذان تعباً من أجلك بين حمل ورضاعة وسهر وتعب ونصب وسعي على تربيته، وأفنى كل منهما حياته من أجل بقائك، فالواجب عليك أن ترد لهم هذا الجميل عند كبرهما وضعفهما، لكن للأسف الكل يتأفف ويتأذى ويتضجر من والديه في كبرهما؛ بل ويتمنى موتهما حتى يستريح من تعبهما ومرضهما والسعي عليهما أو الانشغال بهما؛ وهذا هو الواقع الأليم. روي أن رجلاً أتى عمر، فقال: “إن لي أمًا بلغ بها الكبر، أتتها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، أوضيتها، وأصرف وجهي عنها، فهل أدبته حقاً؟ قال: لا. قال: أليس قد حملتها على ظهري، وحسبت عليها نفسي؟ قال: إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنع ذلك وأنت تتمنى فراقها”. (البر والصلة لابن الجوزي).

وحسن العشرة مع الوالدين لا ينقطع بموتهما، بل يمتد لهما ما دمت حياً تُرزق، وذلك بالدعاء والصدقة لهما.

ومنها: حسن العشرة بين الأصدقاء: فبعض الناس يكون له صديقٌ إما في تجارةٍ، أو دراسةٍ، أو في عملٍ، أو غير ذلك، فإذا ارتفع في دنياهُ إما بحصوله على منصبٍ عالٍ، أو أصبح من أصحاب الأموال الطائلة، أو غير ذلك، ترفع عن أصدقائه، ولم يُظهر لهم الودَّ السابق، وكأنه لا يعرفهم قبل ذلك، وهذا ليس من الوفاء، بل من التنكر للجميل، وليس من شيم الرجال ولا من أخلاقهم!!

ومنها: حسن العشرة وحفظ الجميل بين الأقارب: فما هو النبي ﷺ يردُّ الجميل لعمه أبي طالب الذي تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب، فلا ينسى له ذلك، فحينما تزوج السيدة خديجة رضي الله عنه يأخذ ابن عمه علياً في كنفه ورعايته رداً لجميل عمه ومساعدةً له. وحينما حضرت الوفاة عمه أبا طالب كان ﷺ حريصاً على أن يموت على الإسلام، فأبى إلا أن يكون آخر كلامه على ملة عبد المطلب. فحزن ﷺ عليه حزناً شديداً، ودعا الله أن يخفف عنه العذاب. فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ. هُوَ فِي ضَخْضَاخٍ مِنْ نَارٍ. وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ". (البخاري).

فهذه شفاعة خاصة لعمه الذي دافع عنه وحماه، ورداً للجميل، ولولا الكفر لشفع له حتى نجاه من العذاب. وهذه السيدة فاطمة بنت أسد زوجة عمه أبي طالب، التي تربى ﷺ في بيتها، عند وفاتها يدخل قبرها ويضطجع فيه، ويلبسها كساءه ويقول: كنت أمي بعد أمي، ويدعو لها. ( انظر الحديث بتمامه عند الطبراني).

ومنها: حسن العشرة مع الدواب والطيور: فهي من نعم الله المسخرة للبشر، ويجب الرحمة بها وحسن العشرة لهذه الدواب العجماء، وعدم التعرض لها بأذى أو تعذيب، فعن ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمرةً ( عصفورة ) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: " مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ". (أبو داود).

ولا يخفى عليكم ما في الصحيحين أن رجلاً رحم كلباً يلهث من العطش، فسقاه، فرحمه الله برحمته للكلب فغفر له، وعلى العكس من ذلك امرأة دخلت النار لأنها عذبت هرة ولم ترحمها؛ لأن هذه البهائم المعجمة ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، ولكنها بلسان حالها تشكو إلى ربها، كما قال عنتر بن شداد عن الفرس:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى..... ولكان لو علم الكلام مكلّمي

### ثالثاً: حاجتنا إلى حسن العشرة وحفظها

إن حسن العشرة وحفظها خلقٌ جليلٌ، بل هو من أخلاق الأوفياء الكبار، الذين لا ينسون المعروف ولو طال بهم الأعمار؛ فلا يزال الكريم أسيراً لصاحب الجميل، يُظهر له الودَّ ويمطره بالثناء الجزيل.

وأما اللئيم فهو يتجافى عن أصحاب العطايا الكبيرة، لأنه يظن أنهم إنما أحسنوا إليه لمصالح الدنيا الحقيرة.

وصدق الشاعر: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته \*\*\* وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهنالك أناسٌ قد اصطفاهم ربُّ العالمين، ليس لهم همٌّ إلا سعادة الآخريين، وليس لهم شغلٌ إلا مساعدة الآخريين، فهم لغيرهم بين سعادةٍ ومُساعدةٍ، لا يريدون من أحدٍ جزاءً ولا شكورًا، وإنما يخافون من ربِّهم يومًا عبوسًا قمطريًا، يضعون بين أعينهم: " اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس أهله، فإن كان أهله، فهو أهله، وإن لم يكن أهله، فأنت أهله " . ولسان حال أحدهم:

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه \*\*\* فلا يضيع جميلٌ أينما زُرعا

إنَّ الجميلَ وإن طالَ الزمانُ به \*\*\* فليس يحصدهُ إلا الذي زَرعا

ولقد ضربَ النبي ﷺ في حسن العشرة من المثلِ أجملَه، ومن النصيبِ أكملَه، ومن ردِّ الجميلِ أحسنَه وأعدلَه، ودلائلُ وفاءهِ ﷺ لا تنتهي عندَ المواقفِ والأحداثِ التي كان يفي فيها بما التزمه، فقد شهد له أعداؤه بأنه يفي بالعهودِ ولا يغدر، فحين لقي هرقلَ أبا سفيان، وكان أبو سفيانَ على عداوته لمحمدٍ ﷺ، سألَ هرقلُ أبا سفيانَ عن محمدٍ ﷺ عددًا من الأسئلة، كان ممّا سأله فيه قوله: فهل يغدر؟ قال لا!

إننا بحاجة ماسة إلى خلق الوفاءِ وحفظِ الجميلِ، لكلِّ من له علينا معروف، والحذر من نكران الجميلِ، فإنه خبثٌ في الطبع، وحمقٌ في العقلِ . قال بعضُ العقلاء: "تعلموا أن تتحتوا المعروف على الصخر، وأن تكتبوا الأمم على الرمل، فإن رياح المعروف تذهبها!". وهذه قصة لطيفة في هذا المضمون: والقصة تبدأ عندما كان هناك صديقان يمشيان في الصحراء، خلال الرحلة تجادلَ الصديقان فضرب أحدهما الآخرَ على وجهه. الرجلُ الذي ضربَ على وجهه تألمَ ولكنه دونَ أن ينطقَ بكلمةٍ واحدة، فكتبَ على الرمالِ: اليومَ أعزُّ أصدقائي ضربني على وجهي. استمرَّ الصديقان في مشيهما إلى أن وجدوا واحةً فقررُوا أن يستحموا. الرجلُ الذي ضربَ على وجهه علقَ قدمه في الرمالِ المتحركة وبدأ في الغرق، ولكن صديقه أمسكهُ وأنقذه من الغرق. وبعدَ أن نجا الصديقُ من الموتِ قام وكتبَ على قطعةٍ من الصخر: اليومَ أعزُّ أصدقائي أنقذَ حياتي. الصديقُ الذي ضربَ صديقه وأنقذه من الموتِ سأله: لماذا في المرة الأولى عندما ضربتُك كتبتَ على الرمالِ، والآن عندما أنقذتُك كتبتَ على الصخرة؟! فأجابَ صديقه: عندما يؤذينا أحدٌ علينا أن نكتبَ ما فعله على الرمالِ، حيثُ رياح التسامح يمكنُ لها أن تمحيها، ولكن عندما يصنعُ أحدٌ معنا معروفًا فعليًا أن نكتبَ ما فعلَ معنا على الصخر، حيث لا يوجدُ أيُّ نوعٍ من الرياحِ يمكنُ أن يمحوها.

فتعلموا أن تكتبوا الأمم على الرمالِ لتُمحى، وأن تتحتوا المعروف وحسن العشرة على الصخر ليحفظَ الجميل؛ لأنَّ أقسى شيءٍ على نفسِ الإنسانِ أن يُقابلَ جميله بالنكران، ومعروفه بالكفران.

إنَّ حسنَ العشرة وحفظها خلقُ الكرام، به يسعدُ الفردُ في الدنيا والآخرة، وبه يعيشُ المجتمعُ في أمنٍ وأمانٍ، والحبُّ والتراحمُ يسودُ بينَ أفرادِ المجتمعِ، وبه ينالُ المسلمُ رضا ربِّه ويهنا بدخولِ جنته.

نسألُ اللهَ أن يحسنَ أخلاقنا، وأن يحفظَ مصرنا من كلِّ مكروهٍ وسوءٍ ،،،

الدعاء،،،، وأقم الصلاة،،،، كتبه: خادم الدعوة الإسلامية د / خالد بدير بدوي

